فصل تمهيدي:

عن أهمية دور المرأة وانقسام الناس فيه

إن المرأة هي شريكة الرجل في هذا العالم المؤلف من ذكر وأنثى، فهل يمكن أن ننكر هذا النصف، ونغالط الواقع في أهمية المرأة ومالها من دور فعال في صناعة المجتمعات الراقية المستقيمة؛ فهي أم الرجل وزوجته وأخته وابنته ورفيقته في جميع مراحل حياته، فهي نصف المجتمع بل هي المجتمع كله فهي تلد لنا النصف الآخر.

وهي صانعة مجتمعات بطبيعتها قال جل وعلا "إذ تمشي أختك" خطوات أخت في صناعة نبي سجلها القرآن لتبقى بطول الزمان، فإن موضوع صناعة المرأة جدير بالدراسة والتحقيق على ضوء العلم الحديث وهدى الإسلام، وعندما نتناول هذا الموضوع كبحث يجب أن نعالجه معالجة وافية سواء بدراسته في الأزمنة القديمة والعصور الوسطى أو في العصر الحديث؛ وإني بذلت الجهد وحاولت أن أقدم لمحة موجزة عن تطور حياة المرأة في الزمن القديم والحديث وفي ظل الإسلام.

وإني كمسلم قبل كل شئ أعترف بأن المرأة في عصرنا الحاضر تواجه أعنف المشاكل، وأكثرها صعوبة وتعقيداً؛ فمازلنا نسمع الأراجيف والإفتراءات على الإسلام وتشريعاته، بأنه ظلم المرأة وبخسها حقها وامتهن كرامتها وجعلها عبارة عن خادمة للرجل تؤدي حاجته وتلبي رغبته وتلد له الأطفال.

وإذا مال به الهوى سئمها ونبذها نبذ النواة

فهـا هـي أصـوات الإسـتنكار تتعـالى وخصوصـاً مـن دعـاة التحـرر، والمتشدقون بالمدنية،

يصـرخون....حرروا المرأة.....اكسـروا قيودها...انفضـوا عـن وجهها غبـار السـنين...انزعوا عنها حجابها (دعوها تظهر سافرة)، صرخات وهتافات نسمعها تتردد في كل حين من هنا ومن هناك، تطلقها حناجر تزعم أنها تريد الخير للمرأة وتتمنى لها التقدم والإزدهار، ولست أدري متى اصبح التبرج والسفور دليل على التقدم والرقي؟!

وعلى الجانب الآخر ظهرت هتافات وصرخات لاتعطي للمرأة أي حق فمنهم من جعلها شيطاناً مريداً ولايرى لها اي فضل.

وبين هذا وذاك طغت المادة على الروح ووصلت المرأة إلى متاهات، فوقفت لاتدري أين هي البقعة الصلبة التي يمكنها أن تضع عليها قدمها لئلا تنزلق إلى الهاوية،

ضـياع....ومتاهات...وحيرة.....وارتباك....ومحنة عظيمـة، تتقـاذف المـرأة فجعلتها في دوامة، فاجتاحت التيارات الإلحادية التعاليم السماوية.

وكي نخرج من هذه الدوامة سنضع هذا الموضوع في ميزان البحث العلمي المجرد ونلقى نظرة سريعة على القرون الغابرة، والأجيال السالفة ونسأل بلا تذمر أو تأفف أو شكوى، ثم نعود حتى نرى هل كانت المرأة في الحضارات القديمة والدول الغربية الحديثة هل كانت ترتع بحرية زائدة حتى جاء الإسلام وحرمها هذه الحرية؟ هل الإسلام ضيق على المرأة الخناق وحبسها في سجن؟

ولابدلنا من استطلاع سريع لصفحات التاريخ ليحدثنا عما كانت عليه المرأة قبل الإسلام، وكيف كانت تعامل عند الأمم السابقة؟ وكيف كانت حالتها ومدى ما أعطيت من حقوق؟ ونجعل التاريخ حكماً بيننا لنسد به أفواه المتشدقين "وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت وماتوفيقى إلا بالله".